ابن حمديس الصقلي

دراسة موضوعية فنية

بحث مقدم من المدرس المساعد
زياد طارق لفتة العبيدي

جامعة ديالى / كلية التربية الأساسية / قسم اللغة العربية

١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لا شك ان القارئ للادب الأندلسي يجده ادبا عريقا بإيحاءاته وصوره التي رسمها على الخصوص شعراؤه الافذاذ ، الذين سجلوا لنا تاريخ حقبة طويلة عاشتها الاندلس الاسلامية بافراحها واحزانها.

ومن بين هؤلاء الشعراء ابن حمديس الصقلي ، الذي عرف بدوره ومكانته في الحداثة والتجديد في الشعر الاندلسي ، فضلا عن براعته في تصوير اغترابه وشكواه من الزمن الذي جعل بلاده تقع تحت يد النورمانديين الذين ساموا اهل صقلية الذل والهوان وفر منها ابن حمديس وكابد كثيرا ، وقد استطاع ان يصور كل ذلك باسلوب يقطر حزنا وأسى ، ثم ظهر مبدعا ومجددا في وصف الطبيعة .

وجاء هذا البحث ليظهر لنا براعة الشاعر في الوصف والتصوير الفني الدقيق ، فضلا عن قدرته الفائقة في التجديد ، وقد قسمته على الشكل الآتي :-

التمهيد : الظروف السياسية والاجتماعية التي عاشها الشاعر.

- المبحث الاول : البيئة والشاعر.

- المبحث الثاني : اغراض شعره.

- المبحث الثالث : خصائص شعره.

- الخاتمة : وتتضمن النتائج المهمة التي توصلت اليها في بحثي.

- المصادر والمراجع.

ومن الله التوفيق.

التمهيد

الظروف السياسية والاجتماعية التي عاشها الشاعر :-

لم يكن فتح العرب المسلمين للاندلس مجرد رغبة طارئة اوجدها فتح شمال افريقية. وانما كان نتيجة اسباب متعددة ومتنوعة في آثارها وأهميتها تعاونت لتجعل العرب يعبرون بحر الظلمات كما كانوا يسمونه نذكر من تلك الاسباب وفي مقدمتها :

١. حب العرب المسلمين ((لنشر كلمة الله والقضاء على المظالم التي ترزح تحتها الامم التي قضى عليها جور الحكام وعسفهم))[١].
٢. في الوقت الذي اخذت اسبانيا تجذب انظار العرب المسلمين الا انها كانت ايضا تمر بأسوأ الاحوال السياسية والاجتماعية وهذا ما ساعدهم على فتحها فقد ((كتب يليان الى موسى بن نصير عامل الوليد بن عبد الملك في المغرب يزيّن له فتح الاندلس ويصف خصيب اراضيها ووفرة اموالها وسهولة التغلب عليها لتخاذل اهلها وانقسام بعضهم عن بعض ووعده بالمساعدة فاستاذن موسى بن نصير الخليفة بغزو الاندلس فأذن له))[٢].
٣. ان انتصارات المسلمين في فتوحات شمال افريقية الواحدة تلو الاخرى جعلتهم يدركون أن هذه البلدان ستكون حصنا للمسلمين تحمي ظهورهم. فاخذت فكرة عبور بحر الظلمات تراود عقبة بن نافع الفهري الذي اختط مدينة القيروان سنة ٥٠هـ اذ كان عامل معاوية في المغرب وهو الذي قال : يا رب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهدا في سبيلك. ونضجت هذه الفكرة بعد نجاح الاسلام في استمالة قلوب البربر واستتب الامر للمسلمين[٣]. على كل حال عبر العرب بحر الظلمات من مضيق جبل طارق عام ٩٢هـ الى جزيرة الفندال التي كانت العرب تسميها الجزيرة الخضراء[٤]. ولم يكن الجيش الفاتح من العرب فقط وانما كانوا من العرب والبربر ((فاما العرب فكانوا يفضلون دائما البساط والمنخفضات والنواحي الدافئة والقليلة المطر في الجنوب والشرق والغرب وناحية سرقسطة واما البربر فكانوا في بلادهم يعيشون في بلاد جبلية عالية فألفوا مثل هذه البلاد في الاندلس فاستقروا فيها باختيارهم))[٥].

وتم التمازج عن طريق التزاوج بالاضافة الى عوامل دينية وثقافية. وصقلية مسقط رأس الشاعر وملاعب صباه، بدأ المسلمون بفتحها سنة ٢١١هـ على يد أسد بن فرات أيام زيادة الله بن الاغلب والي افريقية واستمرت اعمال الفتح مدة غير قصيرة ولم تخضع كل صقلية خضوعا تاما لحاكم عربي واحد الا ايام بني ابي الحسين الكلبين الذين كانوا يتبعون الخلافة الفاطمية مع احتفاظهم بقسط من الاستقلال الذاتي في الجزيرة... ثم هبت ريح الفتنة على صقلية وتجدد فيها صراع الجنسيات المختلفة من افريقية وصقلية ايام الاكحل من بني ابي الحسين واخيه حسن الصمصام... وكانت مدينة سرقوسة وقطانية من نصيب ابن الثمنة وهو الذي استدعى النورمانيين من ايطاليا ليسلمهم الجزيرة على اثر ما قام بينه وبين ابن الحواس من حروب ولم يجد النورمانيون فتح الجزيرة سهلا ولم يتم لهم الامر عليها عام ٤٨٤هـ[٦].

وفي ((سنة ٤٧١هـ (١٠٧٨-١٠٧٩م)) كان النورمنديون قد استولوا على معظم جزيرة صقلية))[٧].

وخلال ابتداء الفتح النورماني وانتهائه كان الصقليون يهجرون بلدهم الى مصر والقيروان والاندلس. وكانت سرقوسة (مسقط رأس الشاعر) من المدن التي قاومت طويلا وافتخر بها الشاعر بعد ان هاجر منها وتشفع لاهلها كثيرا كما سنرى في الفصول القادمة وقد شهدت صقلية ايام الحكم العربي والنورماني نشاطا واسعا في الاداب والعلوم... وكان ديوان ابن حمديس من جملة ما وصل الينا[٨]. وصارت لفظة (اندلس) في الادب تشير الى نتاج اجيال ولدت في الاندلس ومن هاجر اليها. وقد اوضح

---

١. الادب العربي وتاريخه . محمود مصطفى ٣/٥.
٢. في الادب الاندلسي . د. جودة الركابي ص١١ .
٣. ينظر الادب العربي وتاريخه ٣/٥-٦ .
٤. ينظر في الادب الاندلسي ص١١.
٥. فجر الاندلس . د.حسين مؤنس . ص٥٤.
٦. ينظر مقدمة ديوان ابن حمديس بقلم الدكتور احسان عباس ص١-٢.
٧. تاريخ الادب العربي . عمر فروخ . ٥/٢٠١
١. ينظر مقدمة ديوان ابن حمديس . ص٢٠ .

مدلول هذه اللفظة بهذا المعنى ابن حزم الاندلسي بقوله : ((ان جميع المؤرخين من ائمتنا السالفين والباقين دون محاشاة احد – بل قد تيقنا اجماعهم على ذلك متفقين على ان ينسبوا الرجل الى مكان هجرته التي استقر بها ولم يرحل عنها رحيل ترك لسكناها الى ان مات فمن هاجر الينا من سائر البلدان فنحن احق به وهو منا بحكم جميع اولي الامر الذين اجماعهم فرض اتباعه. وخلافة محرم اقترافه... ومن هاجر الى غيرنا فلاحظ لنا فيه والمكان الذي اختاره اسعد به))[1].

ومن هنا نفهم اهتمام الدارسين باندلسية ابن حمديس في شعره رغم اشتهار صقليته فهو شاعر اندلسي من حيث الخصائص وولعه بالطبيعة ووصفه لمجالس الانس فيها.

وقد فضّل الدكتور مصطفى الشكعة القول في تركيبة المجتمع الاندلسي الذي ضم أجناسا من البشر ذوي عقائد عديدة وعادات مختلفة من عرب وبربر وصقالبة ويهود واسبان والعرب منهم النزاريون والقحطانيون. واشار الى ان هذه المدة لم تكن مدة استقرار ورغد نتيجة الحروب والمشاحنات[2].

ولكن العرب المسلمين استطاعوا تكوين دولة قوية بلغت اوجها زمن عبد الرحمن الناصر والذي كان اول من طمح بالخلافة من امراء فلقب بامير المؤمنين وازدهرت في ايامه الاندلس ايما ازدهار[3] وتطرق الدكتور احسان عباس الى العوامل التي ساعدت على تكوين الشعر الاندلسي نوجزها بجهود طبقة المؤدبين وأثرها في نشأة الشعر والمقاييس النقدية ، وجهود المهاجرين في طلاب الحاجات وتشجيع الحكام وادخالهم ضروبا من الثقافة المشرقية وحركة الغناء في الاندلس واعتمادها على التلاحين الشرقية، وتقريب الحكام لاصحاب الثقافات والفنون المقيمين والوافدين وهجرة الكثير من الكتب المشرقية الى الاندلس ايام الحكم الذي وجه الى المشرق عباس بن ناصح الجزري في التماس الكتب القديمة بالاضافة الى كون الحكام والامراء انفسهم شعراء ومنهم المقل ومنهم المكثر حتى صار الشعر من العناصر التي تقدم المرء في الحياة السياسية وترقى به الى المناصب الرفيعة[4].

لقد كان هم الشعر في الاندلس ان يحاكي ويقلد شعر المشارقة لانهم اعتقدوا ان الشعر في المشرق قد بلغ درجة الكمال والمعجزة التي لا يمكن الإتيان بمثلها. فلذا قال ابن بسام في مقدمة الذخيرة ((الا ان اهل الاندلس ابوا الا متابعة أهل المشرق يرجعون الى اخبارهم المعتادة رجوع الحديث الى قتادة حتى لو نعق بتلك الافاق غراب أوطن باقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هذا ضما وتلوا ذلك كتابا محكما[5])).

ومن اللافت للنظر في تاريخ المسلمين هي الأحداث الخطيرة التي حدثت اوائل القرن الخامس الهجري والتي كان من نتائجها الخلال الخلافة في قرطبة وابتداء عهد ملوك الطوائف ، ويستغرب الدكتور صلاح خالص من الانهيار السريع لتلك الدولة القوية التي بناها عبد الرحمن الناصر واسندها الى جب المنصور وابنه الحاجب المظفر ولما يمض على وفاة الاخير غير عامين ويستنتج الدكتور صلاح ان هذا الانهيار لا يعود لاسباب خارجية لان الدولة الاسلامية لم تقع فريسة عدوها الخارجي وانما تكمن وراء ذلك اسباب داخلية وليدة اعوام كثيرة عبر مساحة زمنية واسعة فظهرت دول الطوائف ومنها اتفق وجهاء اشبيلية على استقلال مدينتهم فسدوا ابوابها اما المتنافسين على عرش الخلافة في قرطبة وابتداء تمرد اشبيلية عام ٤١٤ هـ حين رفض الاشبيليون فتح ابواب مدينتهم امام القاسم بن حمود الذي اضطر الى ترك قرطبة.

وكانت الارستقراطية الاندلسية في القرن الخامس مثقفة تعنى بالعلوم والادب وكان بنو عباد من بين جميع الاسر الارسقراطية اوسعهم ثقافة واكثرهم ميلا للأدب وعناية بالعلم ورعاية للاداب واهلها، فمعظم ملوك بني عباد وامرائهم كانوا من الشعراء والادباء. فالمعتمد دون شك شاعر من ابرز شعراء الاندلس في ذلك القرن[6]

---

٢. نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب . المقري . ١٦٤/٣.
٣. ينظر الأدب الاندلسي موضوعاته وفنونه ص٢١.
٤. امراء الشعر العربي في العصر العباسي . انيس المقدسي ، ص٩.
٥. ينظر تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة ، ص/٤٨ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٩٠ .
٦. الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، ابن بسام ، ق١ م١٢/١.
١. ينظر محمد بن عمار الاندلسي ، ص٨-٩ ، ١٤-١٦ .

وكان ابن حمديس يحلم بلقاء المعتمد صاحب اشبيلية وتحقق له ذلك ، وظل زمنا يتقلب في نعماء القصر ورعاية المعتمد ، وكان المعتمد من الاسباب المهمة في شهرة ابن حمديس شاعرا اندلسيا.
فلذا ظل وفيا له حتى انه زاره في سجنه وفي رواية اخرى اقام معه كما ستكشف المباحث الاتية... وصار ابن حمديس ضمن طائفة الشعراء الذين يمثلون البيئة والمجتمع وتجتمع لهم الحداثة والجدة.

المبحث الأول
البيئة والشاعر

لا يختلف اثنان على ان البيئة الاجتماعية والسياسية والجغرافية والاقتصادية تؤثر تأثيرا كبيرا في نفسية الشاعر واكتشافه وصقل مواهبه وتطويرها او تعويضها لذلك شاع القول : ((الشاعر ابن البيئة)) لذا اصبح من الضروري الاطلاع على العوامل الرئيسة التي اثرت في الشاعر : ((ابو محمد عبد الجبار بن ابي بكر بن حمديس الازدي الصقلي الشاعر المشهور. وحمديس بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها سين مهملة. وصقلية بفتح الصاد المهملة والقاف بعدها جزيرة في بحر المغرب بالقرب من افريقية انتزعها الفرنج من المسلمين في سنة اربع وستين واربعمائة))[1] بعد ان حكم العرب هذه الجزيرة بين عامي (٢١٩ – ٤٦٤)[2] والى هذه الجزيرة ينتسب الشاعر ويسمى ((بالصقلي بفتح الصاد المهملة والقاف وبعدها لام مشددة))[3].

وكانت مدينة سرقوسة وقطانية من نصيب ابن الثمنة وهو الذي استدعى النورمانيين (او النورمانديين) كما يذكر الدكتور جودة من ايطاليا ليسلمهم الجزيرة على اثر ما قام بينه وبين ابن الجواس من حروب وصقلية كلها لم تخضع لحاكم عربي واحد الا في ايام بني ابي الحسين الكلبيين الذين كانوا يتبعون الخلافة الفاطمية مع احتفاظهم بقسط من الاستقلال الذاتي في الجزيرة. ومنذ ان ابتدأ الفتح النورماني الى ان انتهى كان الصقليون يهاجرون من بلدهم الى مصر والقيروان والاندلس. وكانت سرقوسة البلد الذي ولد فيه الشاعر قد قاومت طويلا ... وقد فارقها الشاعر في ريعان شبابه[4] وربما كان ذلك سنة ((احدى وسبعين واربعمائة وهو في سن الحداثة))[5] كما ذكر الدكتور احسان عباس هذا التاريخ قبل قصيدة للشاعر استخرجها من كتابي ((الخريدة)) و ((الطراز)).

((وقد اختزنت ذاكرته ضروبا من الذكريات التي ظلت زادا لنفسه الحالمة بالعودة))[6] فهو يقول:

احن الى ارضي التي في ترابها مفاضل من اهلي تلين واعظم
كما حن قيد الدجى بمضلـــه الى وطن عود من الشوق يروم[7]

ويقول ايضا :

صقلية كاد الزمان بلادها وكانت على اهل الزمان محارسا
ومنزله للتصابي قد خلت وكانوا بنوا الظرف عمارهـــا[8]

(اشار الدكتور احسان عباس انه رأى البيت الاخير في الوافي (للصبا قد خلت))

وكذلك يقول :

ولولا ملوحة ماء البكـــــاء حست دموعي انهارها
ضحكت ابن عشرين من صبوة بكت ابن ستين اوزارها[9]

وسأتحدث عن هذا الحنين والشوق الى العودة وعن ذكرياته عن بلده واهله على نحو مفصّل في اغراض شعره ((وقد امتازت صقلية بطبيعتها الفنية ووديانها الخصبة وانهارها الجارية واثارت في

---

٢. وفيات الاعيان – ابن خلكان ، ٤٢١/٣ ، ٤١٤ .
٣. ينظر في الادب الاندلسي ، ص١٠٠.
٤. وفيات الاعيان ، ٢١٤/٣.
٥. ديوان ابن حمديس ، ص ١ ، ٥.
٦. المصدر نفسه ، ص١٦٧ .
٧. المصدر نفسه ، ص٥.
٨. المصدر نفسه ، ص٤١٦.
٩. المصدر نفسه ، ص٢٧٥.
١٠. المصدر نفسه ، ص١٨٣.

نفوس سكانها منذ القدم التغني بحياتها الريفية))[1] ((وقد شهدت صقلية ايام الحكم العربي والنورماني نشاطا واسعا في الأدب والعلوم واجتذبت اليها مهاجرين من علماء افريقيا ومصر والاندلس وشعرائها))[2].

و((نحن لا نملك صورة واضحة عن الحال العلمية والادبية لسرقوسة ولكننا نتصور ان عبد الجبار وجد فيها من غير ريب ثقافته الادبية الأولى التي مكنته من قول الشعر في صباه))[3].

((فقد عالج ابن حمديس نظم الشعر وهو صغير ولكنه بقى خامل الذكر))[4] وقد نشأ ابن حمديس في عائلة و((عاش والده ابو بكر الى ما قبل ٤٨٠ للهجرة على وجه التقدير وربما توفي في سرقوسة وكان فيما يبدو رجلا تقيا محبا للخير ((ومضى حين مضى سالكا سبل ابائه))[5] ان لعائلته تاريخا في البر والخير فضلا عن امتيازها بالروح الدينية وهذا ما يؤكده الشاعر في قصيدة يرثي فيها اباه حين ورد عليه كتاب والده في صقلية يحثه على البر ويتشوقه وهي قصيدة طويلة تشغل ثلاث صفحات من ديوانه يفتتحها بـ:

يد الدهر جارحه آسيه ودنياك مفنية فانيه
سقى الله فبرابي رحمه فسقياه رائحة غاديه
ومن كرم في العلى اول وشمس النهار له ثانيه
ولو ان اخلاقه للزمان لكانت موارده صافيه
تمثلت في خلدي شخصه وقربت تربته القاصيه
قديم تراث العلى أسد على النجم خطته ساميه
ومنها مضى بالرجاحة من حلمه فما سر الهضبة الراسيته
مضى سالكا سبل آبائه واجداده الغرر الماضيه
كرام تولوا بريب المنون وانقوا مفاخرهم باقيته[6]

واذا عرفنا ان عمة الشاعر اجرت مع ابنائها الى سفاقس وكان ابنها الحسن متطيا مثقفا اذ يقول فيه ابن حمديس ((بقراط دونه معرفة طيبة وفكره حسيبه)) وقد تزوج اخت الشاعر ونشآت علاقة حميمة بينهما[7] لفسرنا ظهور الشعر الذي يتناول الصحة والهواء والمرض وطبائع الاشياء متاثرا بتلك الثقافة والعلاقة قال ابن حمديس في المتطبب الحسن

وكان في درس العلوم وحفظها بين الافاضل مبدأ الاعداد
ملاحمته عناصر المجد التي طابت من الاباء والاجداد
ونجابه وقف عليهم فضلها منقولة منهم الى الاولاد[8]

وهي قصيدة طويلة تجعل القارئ للديوان من خلالها وخلال قصيدة رثاء ابيه ان يؤيد ما ذهب اليه الدكتور احسان عباس في قوله ((فهو من عائلة محافظة فيها وتر قوي من التدين ووتر آخر من الثقافة الدينية والحكيمة ... وان روح المحافظة غلب عليه كما غلب عليه من الثقافة الحكمية الطبية جعلته يتحدث عن الصحة والمرض وطبيعة الهواء والغذاء ...))[9]

((لقد فرّ ابن حمديس الى الاندلس ونزل باشبيلية وظل فترة يحلم بلقاء المعتمد بن عباد))[10] ومعظم المصادر تهتم بوصوله الاندلس لان الاهتمام باندلسية ابن حمديس كان شغلهم الشاغل.

يقول الدكتور جودة الركابي ((وبعد ان حلت النكبة بوطنه رحل الى الاندلس سنة ٤٧١ هـ ولاذ بكنف المعتمد بن عباد باشبيلية واصبح شاعره))[1]

---

١. في الادب الاندلسي ، ص١٠٠.
٢. ديوان ابن حمديس ، ص٢.
٣. المصدر نفسه ، ص٣.
٤. في الادب الاندلسي ، ص١٠٠.
٥. ديوان ابن حمديس ، ص٣.
٦. المصدر نفسه ص٥٢٢ – ٥٢٤.
٧. المصدر نفسه ، ص٣.
٨. المصدر نفسه ، ص١٢٢.
٩. المصدر نفسه ، ص٣.
١٠. دائرة المعرفة الاسلامية : نقلها الى العربية محمد ثابت الفندي وجماعة ، ١٤٥/١.

الا ان الدكتور احسان عباس فصّل القول في رحلة ابن حمديس فذكر مرحلة وجوده في افريقية يصحب العرب ويتنقل في الصحراء وكانت افريقية طريقا الى الاندلس. وقد فضل ابن حمديس السفر البري على البحري الذي اصبح محفوفا بالخطر بعد ان استولت الاساطيل الرومية على السيادة البحرية غرب البحر المتوسط[٢] وقد قال الشاعر قصائد تؤرخ ذلك وتكشف عن اعتزازه بالغرب وتعبر عن غربته في تلك البلاد ، ومنها قوله

إني لأبسط للقبول اذا سرت خدي والقاها بتقبيل اليـــد
مالي اطيل عن الديار تغربا افبالتغرب كان طالع مولدي
ابدأ ابدد بالنوى غرمي الى أمل بأطراف البلاد مبـــدد
كم من فلاة جبتها بنجيبـــه عن منسم دام وخطم مزيـد[٣]

اصبح المنسم داميا لكثرة المشي وكذلك اشتد بياض اللعاب الخارج من فمها نتيجة التعب.

بدأ الضعف يدب في جسم الدولة الاموية في الاندلس وبدأ رؤساء الطوائف يستقلون بالامارات التي يحكمونها فعرفوا بملوك الطوائف واصبحت المدن المهمة في الاندلس عواصم لهذه الدويلات ومن اهم هذه الدويلات التي لها صلة بالبحث والشاعر الدولة العبادية في اشبيلية ٤١٤-٤٨٤[٤].

((ولم يكن التنافس بين هؤلاء الملوك سياسيا فقط بل كان عمرانيا وادبيا ، فقد رعوا حركة الادب وقربوا اصحابها وكانت اكثر عواصمهم أسواقا لها. وكان منهم ادباء وشعراء كالمظفر وابنه المتوكل والمعتمد بن عباد ملك اشبيلية))[٥]

وقد وردت روايتان في اتصال الشاعر بالمعتمد الاولى تقول ان المعتمد لم يعبأ به حتى قال ابن حمديس ((قنطت لخيبتي مع فرط تعبي وهممت بالنكوص على عقبي ، فاني لكذلك ليلة من الليالي في منزلي اذا بغلام معه شمعة ومركوب فقال لي : اجب السلطان فركبت من فوري ودخلت عليه فاجلسني على مرتبه فنك وقال لي : افتح الطاق التي تليك ، ففتحتها فاذا بكور زجاج على بعد ، والنار تلوح من بابيه وواقده يفتحها تارة ويسدها اخرى. ثم دام سد احدهما وفتح الاخر فحين تأملتها قال لي اجز (الاجازة في الشعر ان يقول واحد صدر بيت ويطلب من الاخر اكماله على نفس الوزن مع استقامة المعنى)

قال : انظرهما في الظلام قد نحما فقلت ((كما رنا في الدجنة الاسد))
قال : يفتح عينيه ثم يطبقها فقلت ((فعل امرئ في جفونه رمد))
قال : فابتزه الدهر نور واحدة فقلت ((وهل نجا من صروفه احد))

فاستحسن ذلك وامر لي بجائزة سنيه والزمني خدمته[٦]

((والرواية الثانية تفيد ان المعتمد توجه إلى قرطبة وكتب الى الشاعر يأمره بالقدوم اليه فسافر ابن حمديس الى قرطبة ووافق ذلك مجيء ابي بكر بن عمار اسيرا مقيدا فلم يطق ابن حمديس البقاء في قرطبة وعاد من توه الى اشبيلية. والشك ما زال يخالج نفسه حول رغبة المعتمد في اقامته فكتب اليه قصيدة يقول فيها : ((فوقع ممسكا او مسرحا)) فوقع له المعتمد : بل تمسك بمعروف ووصله بمائة دينار))[٧]. وقد استخرج احسان عباس هذه الرواية من كتاب الذخيرة حين خرج قصيدة للشاعر تبدأ :

ايا مولي الصنع الجميل اذ انشى ويا مسدي النيل الجميل اذا صحا

يقول :

رفعت واصحابي الى ما يحدّه علاك فوقع ممسكا او مسرحا[٨]

((ان المعتمد يشكل صفحات من المجد والترف والبطولة والاباء والشعر ولقد ورثت ابنته بثينة روحه

---

١. في الادب الأندلسي ، ص١٠٠.
٢. ينظر ديوان ابن حمديس ، ص٥.
٣. المصدر نفسه ، ص١٠. فلاه : المفازة : الصحراء ، نجيبه : الفاضلة من الابل وهي عتاقها التي يساق عليها ، منسم : طرف خف البعير خطم : مقدم انفها وفمها ، مزبد : يخرج من فمها الزبد. ينظر (المنجد في اللغة مادة فلو ، نجب ، نسم ، خطم ، زبد)
٤. ينظر في الادب الاندلسي ، ص١٥
٥. المصدر نفسه ، ص٢٦.
٦. ديوان ابن حمديس ص ٥٤٣ وينظر تاريخ الادب العربي ، احمد حسن الزيات ص٢٣٥.
٧. المصدر نفسه ، ص٦.
١. المصدر نفسه ، ص١١٠ – ١١١.

الشاعر فهو شاعر الملوك وملك الشعراء وورثت الشعر ايضا والجمال من امها الرميكية))[1] وظل الشاعر يتقلب في نعم الملك حقبه من الدهر ولما ((استولى ابن تاشفين على اشبيلية ونفي ابن عباد الى قلعة اغمات بمراكش لحق ابن حمديس سيده الى منفاه وبقي وفيا له ينظم الشعر الحزين))[2] بينما تذكر دائرة المعارف الاسلامية ((ولما سجن المعتمد يتبعه الى سجنه عام ٤٨٤ (١٠٩١م))[3] ويرى الدكتور احمد امين ((انه كان مع ابن عباد في سجنه))[4] واقامته في الاندلس لها الاثر الكبير في شعره لما امتازت به الاندلس من جمال الطبيعة بل كان للرجل الاندلسي صفات اشار اليها الكثير من المؤلفين العرب فابن غالب في رسالته فرح الانفس التي يذكرها المقري يصف لنا الاندلسي رجلا مهتما بلباسه وهندامه وطعامه محبا للشعر والغناء والموسيقى ، ونجده الى جانب هذه الحياة اللاهية حسن التدبير محبا للعلوم والفلسفة والعدالة. ان الذي لا شك فيه ان الاندلس قد تتمتع بصفات تتخذ من باخوس Bacchus آله الخمر واللهو كما تتخذ من ابولون Apollon آله الفن والشعر ولهذا فليس عجيبا ان نراه محبا للفن شاعرا ولاهيا عابثا ثم بعد هذا منصرفا الى التفقّه في العلوم والتشريع والدين والفلسفة بتأثير الدافع الاسلامي وحب التأمل وفهم اسرار الحياة.

وقد عد ابن غالب من فضائل الاندلسيين اختراعهم للموشحات التي استحسنها اهل المشرق[5] . ولا شك ان كل العوامل التي ذكرت قد اثرت في شعر ابن حمديس وهو ما يتوضح لدى دراسة شعره.

((وبعد موت الملك العبادي انتقل ابن حمديس الى المهدية قاعدة افريقية ثم انتقل الى جزيرة ميورقة حيث مات عام ١١٣٢م / ٥٢٧هـ))[6] ويذكر ابن خلكان وفاة الشاعر ومكان دفنه بعد ان يشير الى عماه اذ بلغ الثمانين من العمر وبيده عصاه. فيقول ((توفي في شهر رمضان سنة سبع وعشرين وخمسمائة بجزيرة ميورقة ودفن الى جنب قبر ابن اللبانة الشاعر المشهور وكان قد عمي وقيل ببجايه))[7].

وفي ديوانه اشار الى عمره وعماه اذ يقول :

كأنها وهي كفي اهش بها على الثمانين عاما لا على غنمي[8]

ان التنقل المستمر ومعايشة النكبات التي حلت بوطنه جعلت الشاعر يقول كثيرا من الشعر الذي يصف فيه غربته وحنينه الى بلده ويغلب عليه طابع الحزن والتشاؤم.

وقد ترك ابن حمديس ديوان شعر ((صبغه لنفسه كما يذكر ابن ظافر الازدي وكان موجودا في ايدي الناس ويبدو انه عند جمع ديوانه ذكر مناسبات القصائد بدقة وأملاه على احد الرواة))[9].

((وقد قام ((اقاري)) بنشر ديوان شعره الذي يمثل حياته في صقلية وحينما كان في بلاط ابن عباد في اشبيلية))[10].

وقد ((طبعه بالرم سنة ١٨٨٣م وفي روما سنة ١٨٩٧م وفي بيروت سنة ١٩٦٠م))[11]

المبحث الثاني
اغراض شعره

---

٢. الادب الاندلسي ، موضوعاته وفنونه ، ص١٧.
٣. في الادب الاندلسي ، ص١٠٠.
٤. دائرة المعارف الاسلامية ، ١٤٥/١.
٥. ظهر الاسلام د. احمد امين ، ١٨٣/٣.
٦. ينظر في الادب الاندلسي ، ص٤٤.
٧. تاريخ الادب العربي حنا الفاخوري ، ص٨٤١.
٨. وفيات الاعيان ، ٢١٥/٣.
٩. ديوان ابن حمديس ، ص٤٨٢.
١٠. المصدر نفسه ، ص٢٢.
١١. ظهر الاسلام ، ص١٨٣.
١٢. في الادب الاندلسي ، ص١٠٠.

يقصد بالغرض الموضوع الذي يتناوله الشاعر واذا عرفنا ((ان الادب الناجح هو الذي يكون صدى للبيئة وتصويرا لجوانبها العديدة من ثقافية واجتماعية وجغرافية وسلوكية))[1] وبالتالي سيصبح معبرا عن تجارب الشاعر ومعاناته واحلامه وطموحه التي تتأثر حتما بعوامل البيئة المتنوعة ومن اكبر الموضوعات الشعرية التي عالجها ابن حمديس وجدير بالابتداء به قبل غيره هو :-

١. قوة الحنين والتفجع على ضياع الوطن : لقد انشغل ابن حمديس بوطنه ارضا واهلا ورمزا ، يذكره بوطنه المنكوب فحين رأى زهرة النيلوفر المشهورة في صقلية هتف قائلا :

هو ابن بلادي كاغترابي اغترابه كلانا عن الاوطان ازعجه الدهر[2] ،

فهو لم يغادر البلاد راغبا في الاغتراب وانما ازعجه الدهر حين استطاع النورمانديون احتلال بلاده وساموا اهلها الهوان ((وقد تميز ابن حمديس على شعراء صقلية والقيروان والاندلس الذين عالجوا هذا الموضوع لان احساسه بالوطن قوي الجذور راسخ لا يموت فقد ظل غريبا حيث حل لتجسم الوطن خلال مشاعره ، ولم يقنع بما دعى اليه شاعر صقلي آخر هو (هو ابو العرب الصقلي) الذي برر غربته حين قال :

ان كان اصلي من تراب فكلها بلادي وكل العالمين اقاربي[3]

وربما كان هذا السبب الذي جعل ابن حمديس يفتخر ببلده ولم يفتخر بقبيلته الازدية ففي قصيدة بلغت ٤٨ بيتا يقول :

نحن بنو الثغر الذين ثغورهم اذا عبست حرب لهم تتبسم
ومن حلب الاوداج يغذى فطيما بحجر من الهيجاء ساعة يفطم[4]

(وهنا يقصد ان النوق التي تغذي الفطيم تمتاز بحسن الحال والسمنة)

وذكر صقلية وحده يثير في نفسه الأسى ويهيج لنفسه تذكرها فصقلية موطن الصبا اذ كان في العشرين ولم يتخلف عن مدح اهلها وصقلية جنة واليوم قد بلغ الستين وهو غريب يدفع اوزار الرحيل عنها بهذا الألم والاحساس القاتل بالغربة يقول :

ذكرت صقلية والاسى يهيج للنفس تذكارها
ومنزلة للتصابي خلت وكان بنو الظرف عمّارها
فإن كنت اخرجت من جنة حسبت دموعي انهارها
ضحكت ابن عشرين من صبوة بكيت ابن ستين اوزارها[5]

وفي قصيدة يصف الشيب ويعبر عن تشوقه الى صقلية فهو يفتتحها بقوله :

نفى هم شيبي سرور الشباب لقد اظلم الشيب لما اضاء

ثم يذكر صقلية :

ولا تعجبي فمغاني الهواء يطيب طيب ثراها الهواء
ولي بينها مهجة صبه تزودت في الجسم منها ذماء
ديار تقشت اليها الخطوب كما تتمشى الذئاب الضراء
صبحت بها في الغياض الاسود وزرت بها في الكناس الظباء[6]

ثم يتحول الى محاورة البحر والتفاخر عليه :

وراءك يا بحر لي جنة لبست النعيم بها الاشقاء

---

١. الادب الاندلسي ، موضوعاته وفنونه ، ص١٠.
٢. ديوان ابن حمديس ، ص١٨٥.
٣. المصدر نفسه ، ص١٧ - ١٨.
٤. المصدر نفسه ، ص٤١٣.
٥ المصدر نفسه ، ص١٨٣
٦. المصدر نفسه ، ص٣. الطيب : العطر ، والثرى : الارض. ذماء : بقية الروح ، الخطوب . المصائب ، الغياض : الاجمة او مكان اقامة الاسود ، والكناس : بيت الضبي الذي يستتر فيه النظر. ينظر (المنجد في اللغة مادة ذما ، خطب ، غيض ، كنس)

وبلغ به الشوق حدا حتى انه اصبح مستعد ان يركب هلالا او زورقا يشبه الهلال ليعانق صقلية وذكاء:

فلو انني كنت أعطى المنى أذا منع البحر منها اللقاء
ركبت الهلال به زورقـــا الى أن أعانق فيها ذكـاء[1]

ويتساءل لماذا كتب عليه التعرب اهو طالعة النحس أنه يتنقل من مكان لأخر ولكنه يبقى غريبا فإحساسه بالغربة قاس وثابت:

مالي اطيل عن الديار تغربا افبا لتغرب كان طالع مولدي
أبدا أبدد بالنوى عزمي الى أمل بأطراف البلاد مبـــدد
كم من فلاة جبتها بنجيبـه عن منسم دام وخطم مزبـد[2]

انه يبكي دوما صقلية التي كاد الزمان بها وينفجر ألما حين يرى الروم يسومون اهل بلده ذله بعد ان كانت حارسة للناس ذات عزة:

صقلية كاد الزمان بلادهـــا وكانت على اهل الزمان محارسا
ارى بلدي قد سامه الروم ذلة وكان بقومي عزه متقاعســـا

ويذكر مسقط رأسه سرقوسة:

واضحت لهم سرقوسة دار منعة يزورون بالديرين فيها النواوسا[3]

وتشفع لاهله كلما احتاجوا الى ذلك فروابطه قوية باهله فحين مدح الحسن بن علي والي سفاقس قال:

وما سفاقس الا بلدة بعثـــت اليك عنها لسان الصدق تعتـذر
واهلها اهل طوع لاذنوب لهـم اني لأقسم ما خانوا وما غدروا
وانما دافعوا عن حتف انفسهم اذ خذمتهم به الهندية البتـــر[4]

أي اذا قطعتم السيوف الهندية (السيوف البتر) التي تكون شديدة القطع.

وحين مدح الامير ابا الحسن علي بن يحيى ذكر ردة اهل سفاقس الى اوطانهم ورجوع الآباء منهم الى ابناء :

اخذت سفاقس منك عهد امان وردت أهليها الى الاوطان[5]

كما كان يخاطب اهل صقلية ويدعوهم الى الجهاد المتمثل بالدفاع عن صقلية :

بنو الثغر لستم في الوغى من بني امي إذا لم أصل بالعرب منكم على العجم
دعوا النوم اني خائف ان تدوسكـــم دواه وانتم في الاماني مع الحلـــم
فردوا وجوه الخيل نحو كريهـــــة مصرّحة في الروم بالثكل واليـــم[6]

هكذا كان الوطن يعيش معه اينما حل او ارتحل ، فقد تفوق في هذا المجال على شعراء صقلية والقيروان والاندلس ، وابن حمديس ظل قوي الجذور والحنين الى وطنه .

٢. المدح : هو ذكر محاسن الممدوح ومناقبه والهجاء هو ذكر مساوئ المهجو للنيل منه. وقد قالوا ان ابن حمديس لا يحسن الهجاء فأجابهم:

يقولون لي لا تجيد الهجاء فقلت ومالي اجيد المديـــح؟
فقالوا لأنك ترجو الثـواب وهذا القياس لعمري صحيح
عفاف اللسان مقال الجميل وفسق اللسان مقال القبيح
ومالي وما لامرئ مسلـم يروح بسيف لساني جريح[1]

---

١. ديوان ابن حمديس ، ص٤. ذكاء : اسم علم للشمس (المنجد في اللغة مادة ذكا)
٢. المصدر نفسه ، ص١٦٨.
٣. المصدر نفسه ، ص٢٧٥ – ٢٧٦.الناووس : جمع نواويس : مقبرة النصارى : حجر منقور تجعل فيها جثة الميت ، (المنجد في اللغة مادة نوس)
٤. المصدر نفسه ، ص٢٥٠.
٥. المصدر نفسه ، ص٤٩٩.
٦. المصدر نفسه ، ص٤١٦.

ويرى الدكتور احسان ان قوله ((ومالي اجيد المديح) كانه يعيد قول العجاج الراجز : ((هل رايت بانيا لا يحسن ان يهدم)) ولكنه ربط قول المديح دون الهجاء بفلسفة اخلاقية[٢]. ولا ريب في ذلك فقد نشا في عائلة فيها وتر قوي من التدين فضلا عن ان اباه اشتهر بالبر و الاحسان والعفة كما مر سابقا.

لقد مدح ابن حمديس الكثير وقصائده في المدح طويلة ولاسيما في المعتمد بن عباد ملك اشبيلية ولكن صقلية واهلها كانت تجد طريقها في ثنايا مدحه. في المغرب مدح تميما امير المهدية وتفجع على دخول الروم صقلية وبلغت قصيدته (٦٢) بيتا ومطلعها :

تدرعت صبري جنة للنوائب فإن لم تسالم يا زمان محارب[٣]

(تدرعت صبري سترا للنوائب ، أي سرا للمصائب)

وهي قصيدة طويلة من صفحة ٢٨ الى ٣٣.

وفي مدائحه لا يختلف كثيرا عن شعراء هذا الغرض اذ ينسب الصفات الجميلة والفريدة الى ممدوحه وخاصة اذا كان ملكا فهو اهل الكرم والشجاعة ، ومصدر الجمال والفطنة ، وهو حامي الاسلام وهو مقدام للاسد.

هو الذي ازال الرمد عن ابصارهم بمحياه وهو مؤيد من الله الذي قرّب له ما بعد ، وهو ليس طارئا على الملك وانما هو قد ورث الملك أبا عن حد ، وممدوحه الاوحد في كل شيء وهو العادل تقتدي الأملاك في العدل به ، وهو يقتدى بهذا العدل بأبيه وجده.

ففي احدى قصائده في مدح المعتمد يقول:

ملك إن بدأ الحمد بـــــــه ختم الفخر به ما يبتـــــدى
معرق في الملك موصولا بـــه شرف المجد ومحض السؤدد
من غدا في كل فضل أوحـــدا ذلك الاوحد في العـــــدد
من حمى الاسلام من طاغيـــة كان منه في المقيم المقعـــد
وكست اسيافه عاريـــــــة ذل اهل السبت اهل الاحـــد
ذو يد حمراء من قتلهـــــم وهي عند الله بيضاء اليـــد
تقتدى الاملاك في العدل بـــه وهو فيه بأبيه يقتـــــدي
كيف لا يملى على الناس العلى مستمد من على المعتضـــد
عارض ينهل بالوبـــــل اذا كان للعارض كف الجلمـــد
وهصور يفرس القـــــرن اذا جرد المرهف فوق الاجـــرد
فنداه البحر والبحر متـــــى تعصف الريح عليه يزبـــد[٤]

ان المبالغة واضحة في الابيات وقد كان تشبيه الممدوح بالبحر حين يهب عليه الريح فهيج وترتطم امواجه فيظهر الزبد والممدوح عندما يتطلب منه العون يهيج في كرمه حتى يغرق سائله بكرمه، وفي قصيدة اخرى يقول:

جلا محياك عن ابصارنا الرمد وقرب الله من مرآك ما بعـدا
وجاء يحمل منك الطرف اربعة البدر والطود والدأماء والأسدا[٥]

فهو جميل ومنير كالبدر وثابت كالطود (الجبل) وكريم كالدأماء (البحر) وقوة وشجاعة كالأسد.

---

١. ديوان ابن حمديس ،ص٩٤.
٢. ينظر المصدر نفسه ، ص٢٠.
٣. المصدر نفسه ،ص٢٨.
٤. المصدر نفسه ، ص١٤٠.معرق الملك : عريق الجذور .اهل السبت : اليهود.اهل الاحد : النصارى.القرن : السيد الشجاع.المرهف: السيف الاجرد الفرس قصير الشعر.الندى : الكرم (المنجد في اللغة مادة اقرن ، جرد)
٥. المصدر نفسه ، ص١٧٠.

٣. الرثاء: اذا كان الممدوح هو ذكر محاسن الممدوح وهو على قيد الحياة فالرثاء هو ذكر محاسن الميت ومناقبه والتفجع عليه. ويمكن ان نحصل على رثاء المدن في شعر ابن حمديس حين بكى صقلية وسرقوسة وسفاقس كما مر سابقا.

لقد رثى من مات من اهله كوالده وابن اخته وجاريته جوهرة التي غرقت فضلا عن رثاء بعض الامراء.

ان طبيعة الغرض دفعته الى التأكد على ان الموت امر حتمي فما على الانسان الا ان يخلد ذكره بالعمل الصالح ويؤمن بوجود الآخرة كما دفعته طبيعة الغرض الى الشكوى من الزمان ، انه يتفجر ألما وربما وجد في الرثاء رثاء لغربته ومعاناته. وهذا ما تجسد في رثاء ابيه وقد ورد عليه كتاب والده من صقلية يحضه على البر ويتشوقه:

يد الدهر جارحة آسيـــــه ودنياك مفنية فانيـــــه
وربك وارث اربابهـــــا ومحيي عظامهم الباليه
رأيت الحمام يبيد الانـــام ولدغته مالها راقيـــه
وأرواحنا ثمرات لـــــــه يمد اليـها يدا جانيـــه
وكل امرئ قد رأى سمعه ذهابا من الامم الماضيه
وعارية في الفتى روحـه ولا بد من ردة العاريـه
سقى الله قبرابي رحمـــه فسقياه رائحة غاديـــه

ومنها:

ورحت الى غربة مرة وراح الى غربة ساجيه
وقد اودعتنـــي آراؤه نجوما طوالعها هاديـــه
سمعت مقالة شيخي النصيح وارضي عن أرضه نائيه[١]

من التعابير الجميلة انه شبه الموت بالافعى اذا لدغت شخصا لا تنفعه التعويذة (راقيه) كما انه جاء بتعبير جديد حين قال (رأى سمعه) فالرؤية للبصر ولكنه نقلها الى السمع.

وفي رثائه للامراء كان يبالغ الى درجة انه كاد لا يصدق نزول الموت بالامير ويتعجب متسائلا كيف يمكن للقبر ان يحتوي البدر او الجبل.

قال في رثاء الشريف الفهري علي بن احمد الصقلي :

اذ البدر يطوي في ربوع البلا لحدا ام الطود حطوا في ثرى القبر اذ هدا
حملنا على التكذيب تصديق نعيـــه وسدت له الاسماع وانصرفت صـــدّا[٢]

٤.الوصف : ويعبر هذا الغرض عن اهم الاغراض التي اشتهر بها ابن حمديس فمعظم الدراسات قد عرفته في هذا الغرض واهتمت بتسميته شاعر الوصف كما اهتمت باندلسيته فهي شرع الى القول انه من شعراء الاندلس.وابدع في وصف الطبيعة بل تغلغل وصف الطبيعة في قصائده التي نظمها في اغراض اخرى مثل المدح والغزل.

((لقد كان لنشأة ابن حمديس في جزيرة صقلية ذات الطبيعة الوارفة الظلال اثر في ظهور فن الوصف في شعره وعنايته به))[٣] ثم جاءت الطبيعة الاندلسية الخلابة لترهف حسه بها واكثر شعر الوصف مقطعات وقصائد قصيرة.

والوصف موضوع كبير في ديوانه[٤] بل ((ينساب في جملة اغراضه فيصف الطبيعة في الغزل ويصور محاسن الحبيبة على مثال محاسن الطبيعة ويصفها في المدح بل اكثر شعره المدحي مصبوغ بصبغته الطبيعية ويصورها قوية في الحماسة والفخر وحزينة باكية في الرثاء))[٥]

---

١. ديوان ابن حمديس ، ص٥٢٢ – ٥٢٣.
٢. المصدر نفسه ، ص١٦٣.
٣. في الادب الاندلسي ، ص١٠٠.
٤. ينظر ديوان ابن حمديس ، ص١٩.
٥. في الادب الاندلسي ، ص١٠٤.

على سبيل المثال :

فكأن حدّة طرفه وفـــــــــؤاده من أذنه نقلت الى عرقوبـــه
ألقى على الأرض العريضة ارضه ثم اشتكى ضيقا لها بوثوبـــه
وجرى ففات البرق سقا وأنهـــى من قبل خطفته الى مطلوبـــه
فلشبه دهمته بدهمة ليلـــــــه امسى يفتشه بفرط طيبـــــه
ويرش سيفي بالنجيع مصارعـــا للاسد يسكنها بذيل عسيبـــه
ومهند مثل الخليج تصـــــفقت طرق النسيم عليه من تشطيبه
وكانما في مائه وسعيـــــــره نمل يسير بسبحه ودبيبـــــه[1]

فنحن نرى الارض ، البرق ، الليل ، الاسد ، النمل ، الخليج ، النسيم ..... من مظاهر الطبيعة في غرض غير الوصف وانما الغزل.

وفي مطلع مدحه للامير يحيى بن تميم بن المعز يقول :

شهاب في دجى الليل ثقب أم سراج ناره ماء العنب[2]

في بيت واحد نجده يذكر الشهاب والليل وسراج ونار وماء العنب ويفتتح قصيدته في رثاء ابن اخت له:

خطب يهز شواهق الاطواد صدع الزمان به حصاه فؤادي[3]

ويرى الدكتور سيد نوفل ((ان وصف الطبيعة عند ابن حمديس وثيق الصلة بوصف الخمرة ..... وما علينا الا ان نقرأ ديوانه لنراه يشرب عند طلوع الفجر في روضة فواحة الزهر مخضلة ويشرب قبل ان ترتشف ريق الغوادي في ثغور الاقاح ، ويشرب على ايماض برق كأنه مصباح شب في سواد الليل))[4]

ففي قصيدة يفتتحها بقوله :

طرقت الليل ممدود الجناح مرحبا بالشمس من غير صباح

يقول :

علل النفس بريحـــــان وراح وأطلع ساقيها واعصر اللـــواح
وادر حمراء يسري لطفـــــا شكرها من شمها في كل صـــاح
لا يغرنك منها خجـــــــل انها تبديه في خد وقـــــــاح
واغلها بالماء تعلم منهمـــــا ان بين الماء والنار اصطـــلاح
واذا الخمر حماها صرفهـــا ترك المزج حماها مستبـــــاح
خلني افن شبابي مرحـــــا لا يرد المهر عن طبع المـــراح
انما ينعم في الدنيا فتـــــى يدفع الجد اليها في المـــــزاح
فاسقني عن اذن سلطان الهوى ليس يشفي الروح الاكـــأس راح
فالقنضيب اهتز والبدر بـــــدا والكثيب ارتج والعنبر فـــــاح
والثريا رجح الجو بهـــــــا كابن ماء ضم للوكر جنـــــاح
ارضع الغيم لبانا بأنـــــــه فشربت فيه قامات المـــــلاح
كل غصن تعتري اعطافـــــه رغدة النشوان من كأس اصطباح[5]

((وهكذا فقد اوجز الشاعر في هذه الخمرية جمال الطبيعة المتنوع ونلاحظ ان الشاعر يقبل على الطبيعة بثقافته الشعرية فيتأملها ويستخرج من المعاني اروعها .... والى جانب هذا الوصف تتجلى فيه

---

١. ديوان ابن حمديس ، ص١١
٢. المصدر نفسه ، ص٤٥.
٣. المصدر نفسه ، ص١١٩.الاطواد : جمع طود : وهو الجبل .
٤. شعر الطبيعة في الادب العربي، د. سيد نوفل ، ص٢٧٠ -٢٧١.
٥. ديوان ابن حمديس ، ص٨٢ – ٨٤.

الطبيعة حية مشخصة تبدو عناية الشاعر بتصوير الطبيعة اللامعة على مثال ابن المعتز بالشكل وتجميله))[1]

كقوله :

اشرب على بركة نيلوفر محمرة النوار خضراء
كأنما ازهارها اخرجت السنة النار من الماء[2]

ويمكن تقسيم غرض الوصف عنده الى :

١. وصف الطبيعة من انهار وغدران وسواق واشجار وازهار كالنيلوفر والشقائق والفواكه كالنارنج والسحاب والبرق والرعد والبحر :

نشر الجو على الارض برد أي در لنحور لو جمد
لؤلؤ اصدافه السحب التي انجز البارق منها ما وعد
ذوبته من سماء ادمع فوق ارض تتلقاه بخد
فجرت منه سيول حولنا كثعابين عجال تطرد[3]

وهي قصيدة طويلة ترى فيها الطبيعة في صور متحركة كما تلمح التشبيه الرائع في البيت الاخير فالثعابين عندما تمشي تتلوى فكيف بها اذا كانت مستعجلة فهذه السيول المائية حوله تتفرع وتجري بسواق ملتوية كالثعبان.

٢. وصف الحرب وآلاتها من سيوف ودروع وسفن قال يصف سيفا :

ومهند عجن الحديد لقينه في الطبع نيران ملئن رياحا
روح اذا اخرجته من جسمه دخل الجسوم فاخرج الارواحا[4]

٣. وصف الحيوانات والحشرات كالاسد والناقة والزرافة والعقرب والبق والبعوض والذباب.

قال يصف عقربا في قصيدة طويلة اذكر منها :

ومشرعة بالموت للطعن صعده فلا قرن إن نادته يوما يجيبها
مداخلة في بعضها خلق بعضها كجوشن عظم ثلمته حروبها
تذيق خفي السم من وخز ابرة اذا لسبت ماذا يلاقي لسيبها[5]

٤.وصف مناظر الصيد ومجالس الشرب والخمر فقد قال في الصيد.

لما رأيت الصبح قد تبدى
كانه في الشرق سيل مدّا
اركبت نفسي شوذقا معدا
يهد أركان الطيور هدا
بمخلب تبصره مسودا
وفتية يكسبون المجدا
ويلبسون من حديد سردا
صادوا وصادوا ما يجوز العدا

---

١. في الادب الاندلسي ، ص١٠٣.
٢. ديوان ابن حمديس ، ص٥.
٣. المصدر نفسه ، ص١١٧.
٤. المصدر نفسه ، ص٩٤.
٥. المصدر نفسه ، ص٤٢.

فمن فتى يقدح منه زنـــــدا
وحاطب طلحا له ورنـــــدا
ومشتو يوسع نارا وقـــــدا[1]

٥. وصف الادوات الحضارية كالقلم والشمعة
قال في شمع :

قناة من الشمع مركـــوزة	لها حربة طبعت من لهـــــب
تحرق بالنار احشـــــاءها	فتدمع مقلتها بالذهـــــــب
تمشى لنا نورها في الدجى	كما يتمشى الرضى في الغضب
عجبت لأكلة جسمهـــــا	بروح تشاركها في العطـــب[2]

وللامانة اقول اني افدت من مقدمة الدكتور احسان عباس في تقسيم الوصف على هذا النحو وهذا ما دفعني الى البحث في ديوانه عن نماذج اذكرها امثلة فقط.
وفي موضوع الثلجيات (القصائد التي تصف نزول الثلج والبرد) يتفرع موضوع البرد....
((وحصيلة الشعر الاندلسي منه قليله ولعل اشهر من عرض للبرد هو الشاعر عبد الجبار بن حمديس الصقلي الذي أنشأ قصيدة تناهز العشرين بيتا خص البرد منها ببضعة ابيات))[3]، وقد مرت الابيات في وصف الطبيعة.
((وابن حمديس احد اولئك الشعراء الذين جمعوا بين وصف الطبيعة الطبيعية والطبيعة الصناعية كالقصور والتماثيل والرسوم))[4] وقد وصف قصرا ابتناه المنصور بن أعلى الناس ببجايه وعلى البركة اشجار من الذهب والفضة واسود من المرمر يخرج من افواهها الماء كما يخرج من اطراف تلك الاشجار فيسمع لها خرير وصفير .
قال :

وضراغم سكنت عرين رئاسه	تركت خرير الماء فيها زئيرا
فكأنما غشى النضار جسومها	واذاب في افواهها البلـــورا
أسد كأن سكونها متحـــــرك	في النفس لوجدت هناك مثيرا
وتذكرت فتكانها فكأنمـــــا	اقعت على ادبارها لتثـــورا
وتخالها والشمس تجلو لونها	نارا والسنها اللواحس نـــورا[5]

ويعتقد الدكتور مصطفى الشكعة ان ((شعر الطبيعة كان مهربا للشعراء وهم في اقصى حالات التفجع والتوجع وقد التفت شعراء الاندلس الى هذا المنطق فسجلوا كثيرا من قصائدهم ومقطوعاتهم التي مزجوا فيها الحسرة والألم بذكر الطبيعة الجميلة وما حوت من جمال وجلال واشراق وتبسم فربما ظنوا ان في اشراقتها مخرجا لمصائبهم وفي بسمتها برءا لمواجعهم))[6]

٥. الغزل :
ترك ابن حمديس مقطوعات وقصائد في الغزل ويغلب على غزله وصف محاسن الحبيبة من عيون وخدود وشعر كما نجد اجزاء الطبيعة منتشرة في تشبيهاته وهو يشكو، كما ان الشاعر العذري يتلذذ بتلك الشكوى من العذال والوشاة وظلم الحبيب فيبدي استعداده للتضحية بالروح من اجل ارضاء الحبيب :

---

١. ديوان ابن حمديس ، ص١٢٧ – ١٢٨.
٢. المصدر نفسه ، ص٢٤.
٣. الادب الاندلسي ، ص٣٣٤.
٤. في الادب الاندلسي ، ص١٠٤.
٥. ديوان ابن حمديس ، ص٥٤٧.
٦. الادب الاندلسيي موضوعاته وفنونه ، ص٣٥٣.

أذبت فؤادي يا فديتك بالعتـــب ولو بت صبا ما عنفت على صـــب
وقاتلي بين الغواني كأنهـــا مصورة بالعين في حبة القلـــب
حياة ولكن طرفها ذومنيّـــة اما يتوقى الموت من طرف العضـب
شكوت اليها لوعة الحب فانثنت تقول لتربيها وما لوعة الحـــب؟
فقيل : عذاب لو احطت بعلمـه لجدت على الصادي بماء اللمى العذب
وقال الهوى اذ لم تذوقيه ضره وهل تحدث الخمر الحمار بلا شـرب[1]

وفي اخرى يقول

فارقتكم وفراقكم صعـــب لا الجسم يحمله ولا القلـب
قتل البعاد فما اشير بـــه حتى تمزق بيننا القـــرب
امقيمة والركب مرتحـــل بالصبر عنك ترحل الركـب
كم ذا يزور البحر بحرأسـى في العين منك جمانه رطـب
ما كان نأتي عن ذراك قلـى فيموت بعد حياته الحـــب
اني لأرجو السلم من زمـــن قامت على ساق له حـــرب
والدهر ان يسعد فربّتمـــا صلح الجموح وذلل الصعب[2]

وفي بعض الاحيان كان يفتتح بعض القصائد بالغزل الطلي لأنه نشأ عربي الاصل في موطن اعجمي يحارب العروبة وقد صاحب في المغرب عربا جابوا القفار مما أدى الى ازدياد تعلقه بالعرب وبيئتهم وما يتصل بهم من الوان التفكير والاساليب .... وبالغ في الوقوف على الاطلال[3] ، ((وغزله احيانا بالغ الرقة ولكن العاطفة فيه فاترة))[4]

٦. الفخر : لم يفتخر ابن حمديس بقبيلته الازدية وانما افتخر ببلده ووصف اهل صقلية بالبحار في الكرم وبالاسود في الشجاعة :

نحن بنو الثغر الذين ثغورهم اذا عبست حرب لهم تتسم

ومنها :

لنا عجز الجيش اللهام وصدره بحيث صدور السمر فينا تحطم
يضاعف ان عد الفوارس عدنا كان الشجاع الفرد فينا عرمرم[5]

قال في العرب الذين صحبهم في الفلاة بالمغرب :

رعى ورق البيض الذي زهره دم بهم ورقا عن زهرة الروض يبسم
جبابرة في الروع تعدو جيادهـــم بهم فوق ما سح الوشيج المقـــوم
ترحل من آجامها الاسد خيفـــة اذا نزلوا للرعي فيها وخيمـــوا[6]

وافتخر باهل بلده سرقوسة فقال :

ارى بلدي قد سامه الروم ذلـــة وكان بقومي عزة متقاعســـا
وكانت بلاد الكفر تلبس خوفـــه فأضحى لذاك الخوف منهن لابسـا
عدمت اسود منهم عربيـــة ترى بين ايديها العلوج فرائســا
فلم ترى عيني مثلهم في كتيبـــة مضارب ابطال الحروب مداعســا

ومنها

ومن عجب ان الشياطين صـيرّت بروج النجوم المحرقات مجالســا
وأضحت لهم سرقوسة دار منعة يزورون بالديرين فيها النواوسـا
مشوا في بلاد اهلها نحت ارضها وما مارسوا منهم ابيا ممارســا

---

١. ديوان ابن حمديس ، ص١٨.
٢. المصدر نفسه ، ص٨.
٣. ينظر في الادب الاندلسي ، ص١٠١.
٤. ديوان ابن حمديس ، ص١٩.
٥. المصدر نفسه ، ص٤١٣ – ٤١٤.
٦. المصدر نفسه ، ص ٤١٢.

ولو شققت تلك القبور لانهضت اليهم من الاحداث اسدا عوابســـــا[1]

وافتخر بعائلته كما ذكرت في الرثاء فهم قد توارثوا الاخلاق الفاضلة والعلم أبا عن جد وافتخر بعفة لسانه كما مر ذلك في غرض المدح حين قالوا انه لا يحسن الهجاء.

٧. الزهديات : زهد وزهد وزهد – زهدا في الشئ وعنه رغب عنه وتركه ومنه ((زهد في الدنيا))[2] أي تخلى عنها للعبادة بمعنى انه يتخلى عن ملذاتها ويقنع بالقليل ولا يتهالك على الدنيا ، وانما يتزود بالعمل الصالح للاخرة ويكثر من العبادة ... لقد مر بنا كيف نصحه والده ان يمضي على خطى آبائه وعلى خطى عائلته التي بها وتر قوي من التدين لذا لا نستغرب ان نجد هذا الغرض في قصائد ومقطوعات لابن حمديس فهو يدعو الى الاتعاظ بالموت الذي لا مفر منه وان هذه الدنيا فانية تعقبها دنيا خالدة فعلى الانسان الا تغره الدنيا ويسوق البراهين على صحة هذه الافكار فيسأل أين الشباب؟ وهل يمكن للانسان ان يسترده؟ لذا يرجو الله ان يدرأ عنه العقاب. قال ابن حمديس في معنى الزهد:

وعظت بلمتك الشائبـــــة وفقد شبيبتك الذاهبـــه
وسبعين عاما ترى شمسها بعينك طالعة غاربـــــه
فويحك هل عبرت ساعـــة ونفسك عن زلة ناصبـــه
وغرتك دنياك اذ فوضـــت اليك امانيها الكاذبـــــه
اصاحبة خلتها؟ انهـــــا باحداثها بئست الصاحبه
اما سلبت منك برء الشباب؟ فهل يستبرد من السالبه
وان دقائق ساعاتهـــــا لعمرك آكلة شاربـــــه
وان المنية من نحوهـــــا عليك بأظفارها واثبـــه[3]

وهو يعترف بأن ذنوبه اثقلت ظهره فكلما تاب ساعة عاد في ساعة اخرى لارتكاب الذنوب ويعقد رابطة جميلة بين ما يأكل وبين العمر الذي يأكله ويتضرع الى الله طالبا الرحمة مما جناه لسانه :

يا ذنوبي ثقلت والله ظهري بأن عذري فكيف يقبل عـــذري
كلما تبت ساعة عدت اخرى لضروب من سوء فعلي وهجري

ومنها

وانا حيث سرت اكل رزقـي غير ان الزمان ياكل عمري
واجرني مما جناه لسانـــي وتناجت به وساوس فكري[4]

٨. الحكميات :

((هو شعر مصوغ في شكل نصائح خلقية ووصايا))[5]

مثل قوله في كتمان السر :

ان السرائر عورات وان لهـــــا مهذبا آخذا بالحزم يسترهـــــا
فاطوا السرائر في الجنين تحجنها عن اللسان الذي للسمع ينشرها[6]

وقال في القصد والتدبير :

لا تخرج الشئ عن شئ يوافقـــه واقصد بأمرك في التدبير مقصده
فالد من فيه لنبت الارض مصلحة ولو خلطت به الكافور افســـده[7]

---

١. المصدر نفسه ، ص٢٧٥ – ٢٧٦.
٢. المنجد في اللغة – مادة زهد
٣. ديوان ابن حمديس ، ص٤٠ - ٤١.
٤. المصدر نفسه ، ص٢٦٥ – ٢٦٦.
٥. ديوان ابن حمديس ، ص١٩.
٦. المصدر نفسه ، ص٢٦٣.
٧. المصدر نفسه ، ص١٦٧.

وقال في الصحة والمرض:

اذا ما الهواء اعتل كان اعتلالنا محيطا بما يجريه فينا التنفس
وربّتما كان الغذاء مضـــــرة يذم به العقبى جهول وكيّـس

وامراضنا اسبابهن كثيرة تحل باجسام فتهلك انفس[1]

ويلاحظ على شعره في الزهد والحكميات بسيط العبارة واضحا فهو يقترب من اسلوب ابي العتاهية او ما يسمى بالسهل الممتنع[2]

المبحث الثالث
خصائص شعره

لقد مر الشعر في الاندلس بأطوار ثلاثة :-

الطور الاول : طور المحاكاة للشعر في المشرق ((اذ كانت الفكرة الاساسية عند من يريد ان يكتب شعرا ان يكون على نمط الشعر من القدماء او العباسيين ... فالشاعر لم يحاول ان يخضع الشعر العربي لشخصيته بل رأيناه هو يخضع له ، فهو يخضع لموضوعاته المعروفة في المشرق كما يخضع لأفكاره ومعانيه واخيلته واساليبه))[3]**.**

الطور الثاني : هو الحقبة التي امتدت خلال القرن الخامس وفيها اخذ الشعراء يصدرون عن حاضرهم ويمثلون بيئتهم ومظاهرها مع الاخذ يحظ من التقليد ويمثل شعراء ملوك الطوائف الذين يرجعون طرافة البيئة الى معاني الشعراء السابقين وفي نهاية هذا القرن تم انتصار الجديد واتسعت حركة الموشحات.

أما الطور الثالث : فيضم شعراء القرن السادس وما بعده وفيه اخذ الشعراء يمثلون البيئة وتجتمع لهم الحداثة والجدة ويمثل هذا الطور من الشعراء ، ابن حمديس ، ابن عبدون ، ابن خفاجة ، ابن سهل ، ولسان الدين الخطيب ، وابن زمرك وغيرهم[4]**.**

اذن يقترن اسم ابن حمديس بالحداثة والجدة حتى قال عنه ابن بسام صاحب كتاب الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ما نقله عنه ابن خلكان ((هو شاعر ما هو يقرطس اغراض المعاني البديعة ويعبر عنها بالالفاظ النفيسة الرفيعة ويتصرف في التشبيه المصيب ويغوص في بحر الكلم على درر المعنى الغريب))[5] **والمعنى ابن حمديس كان يكتب في صحيفة شعره.**

((وهو من الشعراء النابهين في دور الطوائف))[6] **بل ((لم تنجب مثله صقلية في الشعر ولم يقصر عن اجود ما وصلته الاندلس باستثناء فن التوشيح وربما لم ينشأ منن شعراء المغرب من يضاهيه قوة وتنوعا فهو يمثل ثمرة الشاعرية المغربية في ازهى عصور السيادة السياسية في المغرب))**[7]**.**

ومن يقرأ ديوان ابن حمديس يستطيع ان يستخرج مجموعة من الخصائص الفنية امتاز بها شعره وهي :

١. ان شعره ((مرآة صافية تجلت فيها اخلاقه فهو عفيف اللسان نبيل الفكرة))[8]

وقد مر بنا انه لم يمارس غرض الهجاء وقد افتخر بذلك :

يقولون لي لا تجيد الهجاء فقلت ومالي اجيد المديـــح
فقالوا لانك ترجو الثـــواب وهذا القياس لعمري صحيح
عفاف اللسان مقال الجميل وفسق اللسان مقال القبيـــح

---

١. ديوان لبن حمديس ، ص٢٧٣.
٢. ينظر تاريخ الادب العربي – حنا الفاخوري ، ص٨٤١.
٣. الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، د. شوقي ضيف ، ص٤١٧.
٤. ينظر في الادب الاندلسي ، ص.١٠١
٥. وفيات الاعيان ، ٢١٢/٣. قرطس الرجل : اصاب القرطاس (والقرطاس بكسر القاف وضمها) ، (المنجد : مادة قرطس).
٦. في الادب الاندلسي ، ص١٠٠.
٧. ديوان ابن حمديس ، ص١٧.
٨. تاريخ الادب العربي ، احمد حسن الزيات ، ص٣٣٦.

ومالي وما لامرئ مسلم يروح بسيف لساني جريـــح[1]

٢. ان بيئة صقلية الوارفة الظلال والكثيرة الانهار و بيئة الاندلس الخلابة جعلت حسه مرهفا ورقيقا فلذا ((ترق قصائده حتى تشبه الطبيعة الصقلية والاندلسية الجميلة في رقتها وعذوبتها))[2] ان عنايته بهذه الطبيعة وافتتانه بها وقدرته البارعة على تصويرها دفعت الكثير من الباحثين الى دراسته شاعرا من شعراء الطبيعة اكثر من اهتمامهم باغراضه الاخرى التي يشكل بعضها خصوصية ابن حمديس وتفوقه على الشعراء الاخرين مثل معايشته لفكرة الوطن والحنين القوي اليه والحلم بالعودة.
وكان وصف الطبيعة عنده يصدر عن طبع لا تكلف فيه ولا صناعة فهو ((يقبل عليها بثقافته الشعرية فيتأملها ويستخرج من المعاني اروعها فيبدوا عالم الطبيعة في حركة وزينة وطرب))[3]
واعرض هنا بعض النماذج واحاول تحليلها مبينا قدرات هذا الشاعر الكبير قال في إحداها :

طرقت والليل ممدود الجناح مرحبا بالشمس من غير صباح
سلم الايماء عنها خجـــلا او ما كان لها النطق مبـــاح
غادة تحمل في أجفانهـــا سقما فيه منيات الصحـــــاح
الثم الدر حصى ينبع لـــي بزلال ناقعا فيه التيـــــاح
واروي علل الشوق بمـــا لم يكن في قدرة الماء القـراح
همت بالعيد فلو كنت الصبا لم يكن مني عنهن بـــــراح
ومنها
ارضع الغيم لبانه بانـــــه فتربت فيه قامات المـــــلاح
كل غصن تعتري اعطافـــه رعدة النشوان من كأس اصطباح
وكان الروض رشت زهره بمياه الورد افواه الريـــــاح[4]

ان القارئ يشعر برقة الموسيقى في هذه الابيات ويرى صورا متحركة ويدرك قدرة الشاعر على استعمال الاستعارات الجميلة فالفعل طرقت : يدل على حركة فهو بمعنى جاءت زائرة في الليل وهذه الزائرة (الخمرة) منيرة كالشمس وقد مد الليل جناحيه. فقد شبه الليل بالطائر ولكنه حذف المشبه به وابقى كلمة الجناح تدل عليه فالاستعارة مكنية وكذلك فعل بتشبيه الزائرة بالشمس. والإيماء يعني الاشارة والاشارة تحتاج الى حركة وهذه الزائرة خجولة لا تستطيع الكلام فتستعين بالاشارة وكل هذا يوجده الشاعر في خياله الواسع .
والفعل (الثم) يوحي لك بصورة انسان يقبل شيئا.
والغيد هن الحسان فلو كان هو الصبا زمن الشباب والحداثة لما فارق الغيد أي لجعل الغيد دائمة الشباب هكذا يولد المعاني ، والمرأة هي التي ترضع اولادها وقد شبه الغيم بالمرأة بعد ان ترك ما يدل على ذلك عن طريق الفعل (ارضع) والغيم ارضع الاشجار فلذا نشأت قامات الملاح.
والقارئ يجد الحركة في كل جزء من أجزاء الشجر وكأنها قد شربت الخمرة صباحا فبدأ كل جزء نشوانا.
والرياح رشت عن طريق فمها الروض وزهرة بمياه الورد ان الرسام يستطيع ان يرسم لوحة رائعة من هذه الصورة. وقوله :

ذوبته من سماء أدمـــع فوق ارض تتلقاه بخد
فجرت منه سيول حولنا كثعابين عجال تطـــرد[5]

---

١. ديوان ابن حمديس ، ص٩٤.
٢. ديوان ابن حمديس ، ص١٧.
٣. في الادب الاندلسي ، ص١٠٣.
٤. ديوان ابن حمديس ، ص٨٢ – ٨٥ (التياح) : شدة الظمأ
٥. المصدر نفسه ، ص١١٧.

الثعابين عندما تسير تتلوى فكيف يكون تلويها اذا كانت مستعجلة بالتأكيد سيكون تلويها سريعا وقويا ، وقد شبه جريان السيول في مختلف الاتجاهات كتلوي الثعابين المستعجلة انها صورة متحركة وتشبيه دقيق يكشف عمق خياله.

وقوله

يكاد وليد الذر يجرح جسمها اذا صافحت منها أنامله الإتبا[1]

انها مبالغة واضحة فلو لمس وليد الذر (النمل المولود توا) جسمها لجرح ذلك الجسم لرقته

٣. ويلاحظ القارئ لديوانه مسحة الحزن والتشاؤم على قسم من شعره ولا سيما في جنينه الى وطنه وهو يتذكر ما حل به ويبقى غريبا يشكوا الغربة فالقلب والعقل والعيون مشدودة الى هناك :

اعاذل دعني اطلق العبرة التـــي عدمت لها من اجمل الصبر حابسا
فانمي امرؤ آوي الى الشجن الذي وجدت له في حبه القلب ناخســا
لقدرت ارضي ان تعود لقومهـــا فساءت ظنوني ثم اصبحت يائسا
وعزيت فيها النفس لما رأيتهـــا تكابد داء قاتل السم ناحســـــا[2]

٤. ان اعتزازه بأصله العربي جعله يقلد الاقدمين في افتتاح بعض قصائده بوصف الاطلال ووصف الناقة وذكر الصحراء وما يتعلق بها وهو ((يحتذي معاني القدماء والمحدثين فهو يتحدث عن الاطلال حديثا مؤثرا ثم يتبع مذهب ابي نواس في السخرية منها والهتاف بالخمر في ظل الطبيعة الوارفة وينطبق هذا على اوصافه للخيل والابل والغيث والبرق والبيداء والصيد))[3]، فهو يقول:

ولقد سريت بفتية قطعوا الفلا بعزائم مثل الصوارم سلّت[4]

وقال في وصف فرس ادهم كان يفضل ركوبه :

ومنغمس في صبغة الليل يمتطي الى اجل الآساد قيد الأوابـــــد
يكر فكم جسم على الارض ساقط صريع وكم روح الى الجو صاعد[5]

وفي إحدى مدائحه لابي الحسن علي بن يحيى يفتتح مديحه بالغزل فيقول :

صادتك مهاة لم تصـــد فلو حظها بشرك الاسد
من توحي السحر بناظرة لا تنفث منه في العقــد[6]

٥. حين تعرضنا لبيئة الشاعر عرفنا ان وترا من التدين قد تحكم في حياته فلذا نراه يحث اهل قومه على محاربة الغزاة من (اهل السبت) ومن (اهل الاحد) اليهود والنصارى كما سماهم وان مثل هذا العمل جهاد في سبيل الله أي ان الروح الجهادية تظهر بارزة في قسم من شعره.

ففي قصيدة يمدح فيها الحسن بن علي بن يحيى يذكر انهزام عدو صقلية عام الديماس فيقول :

ابى الله الا ان يكون لك النصـر وان يهدم الايمان ما شاده الكفر
وان يرجع الاعلاج بعد علاجها خزايا على اثارها الذل والقهـــر
ليهنك فتح اولغ السيف فيهـــم ولاح بوجه الدين من ذكره بشر
بسعد كساك الله منه مهابـــــة واشراق نور منه تقتبس الزهر[7]

وفي اخرى يقول :

وكيف وقد سيمت هوانا وصيرت مساجدها ايدي النصارى كنائسا

---

١. ديوان ابن حمديس ، ص٥٠.
٢. المصدر نفسه ، ص٢٧٤. الاتبا : الاتب : قميص بلا كمين تلبسه المراة.
٣. في الادب الاندلسي ، ص١٠١
٤. ديوان ابن حمديس ، ص٧٠.
٥. المصدر نفسه ، ص١٣٧.
٦. المصدر نفسه ، ص١٥٨.
٧. المصدر نفسه ، ص٢٥٢.

اذا شاءت الرهبان بالضرب انطفت مع الصبح والامساء فيها النواقسا

انه يتحسر اذ يرى المساجد تتحول الى كنائس ويحل الرهبان محل ائمة وعلماء المسلمين :
ارى بلدي قد سامه الروم ذلة وكان بقومي عزة متقاعسا

وكانت بلاد الكفر تلبس خوفه فأضحى لذاك الخوف منهنّ لابسا[1]
وقد مر بنا كيف خاطب اهله ليدافعوا عن الاسلام :
بنو الثغر لستم في الوغى من بني امي اذا لم اصل بالعرب منكم على العجم
دعوا النوم اني خائف ان تدوسكـــم دواة وانتم في الاماني مع الحلـــم
فردوا وجوه الخيل نحو كريهـــــة مصرحة في الروم بالثكل واليتـــم
وصولوا ببيض في العجاج كأنهـــا بروق يضرب الهام محمره الجسـم
وقرع الحسام الرأس من كل كافـــر احب الى سمعي من النقر في البـم[2]

((والصدق العاطفي كان يتفاوت من غرض لآخر فأعلاها درجة تتجلى في تلك القصائد التي كان يتفجع على وطنه ثم في تلك القصائد الطوال التي يكون الشاعر خاضعا لانفعال مبهم فهو يخرج فيها عواطف الحب والميل الى الخمر والشكوى من الزمان دون حافز خارجي))[3]
ومما يمثل تلك القصائد الطوال التي ينفعل فيها الشاعر دون حافز خارجي تلك التي تبدأ بـ :
كل يوم مودع او مودع بفراق من الزمان منوع[4]

او قصيدته التي يفتتحها بـ :
مرابعهم للوحش اضحت مرابعا فقف صابرا تسعد على الحزن جازعا
فمن مبلغ الغادين عنا بأننـــا وقفنا وأجرينا بهن المدامعـــــا
معالم اضحت من دماها عواطلا فقل في نفوس قد هجرن المطامعـــا[5]
((ويقع غزله احيانا بالغ الرقة ولكن العاطفة فيه فاترة))[6]
اما فيما قاله في الزهد والحكمة فهو يقترب من ابي العتاهية بلغته الواضحة واسلوبه المشرق[7].
وقد كان معاصروه ومن جاء من بعدهم يعجبون ببعض المعاني المبتكرة والصور في وصفه او بناحية الدقة الجزئية في شعره الوصفي عامة.
اما في نظر الناقد الحديث فيمكن تصنيف شعره حسب الجودة الفنية في الترتيب التالي :
١. قصائده الصقليات ٢. القصائد الطوال التي تمثل التلقائية في الانشاء للتعبير عن حالات النفس دون حافز خارجي. ٣. شعر الوصف ٤. الشعر الحكمي والتعليمي[8]
اما اسلوبه الشعري فيتردد بين البساطة البالغة التي تشبه العفوية في مثل قوله :
بالله يا سمرات الحي هل هجعت في ظل اغصانك الغزلان عن سهري
وهل يراجع وكرا فيك مغترب عزت جناحيه أشراك من القدر[9]
وبين الكلفة الشديدة في تعقب الجناس والمطابقة تتكرر لديه المعاني وبخاصة في المدح .. ويبدو في بعض المساجلات الادبية انه كان سريع البديهة يقترح عليه موضوع فينظم فيه[10]

---

١. ديوان ابن حمديس ، ص٢٧٤ – ٢٧٥.
٢. المصدر نفسه ، ص٤١٦.
٣. المصدر نفسه ، ص١٨.
٤. المصدر نفسه ، ص٣٠٤.
٥. المصدر نفسه ، ص٣١٢.
٦. المصدر نفسه ، ص١٩.
٧. ينظر تاريخ الادب العربي ، ص٣٣٦.
٨. ينظر ديوان ابن حمديس ، ص١٧ – ١٩.
٩. المصدر نفسه ، ص ٢٠٦. سمرات : اشجار.
١٠. ينظر المصدر نفسه ، ص٢١.

الخاتمة

يرتبط اسم ابن حمديس بالحداثة والجدة في القرن السادس للهجرة في الأندلس فقد استطاع ان يخضع لشخصيته بعد ان بقي الشاعر الاندلسي زمنا طويلا يحاكي ما قاله الشعراء في المشرق.
وابن حمديس يقبل على الطبيعة التي فتن بها فتونا بثقافته الشعرية فيتأملها ويستخرج من المعاني اروعها وتبدو الطبيعة حية مشخصة.
وشعره مرآة صافية لحياته في مختلف اطوارها فمن خلال ديوانه نستطيع ان نكتب سيرته واثره في البيئة وتأثره بها. ويمكن ان الخص اهم النتائج التي توصلت اليها على النحو الآتي :

١. تغلب اندلسية ابن حمديس ووصف الطبيعة على شخصية في معظم المصادر التي تتناوله بالدراسة اكثر من الاغراض الاخرى التي تنظم فيها.
٢. ان الحنين القوي الى وطنه وتفجعه عليه لما حل به من نكبات صادق ومؤثر فهو لم يشعر يوما بأنه صار من اهل البلد الجديد الذي حل به وانما كان يهتف بأنه غريب.
٣. لقد تفوق على الاخرين في وصف الطبيعة هذا الغرض الذي تغلغل في اغراضه الاخرى وقد قدم اوصافا تتجلى فيها روح الابتكار والابداع. ولعله اشهر من عرض لوصف ((البرد))
٤. ان قدرته على التصوير فائقة فهو يرسم صورا متحركة حين يصف يستطيع الرسام ان يستلهم لوحات من شعره.
٥. تبلغ الجودة الفنية عنده الذروة في قصائده الصقليات.
٦. تظهر شخصيته متحكمة في الشعر الذي أصبح خاضعا له لأنه عبر عن البيئة التي عاشها حية.
٧. استعمل افتتاح بعض القصائد بالغزل الطللي ليعبر عن حبه للعرب وتعلقه بهم.

هذا والله اعلم ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

١. الادب الاندلسي – موضوعاته وفنونه – الدكتور مصطفى الشكعة – ط٤ دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٩م.
٢. الادب العربي وتاريخه ، محمود مصطفى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م.
٣. امراء الشعر العربي في العصر العباسي – انيس المقدسي ، ط٢ المطبعة الاميركانية ١٩٣٦م.
٤. تاريخ الادب الأندلسي عصر سيادة قرطبة . د. احسان عباس . دار الثقافة الطبعة الثانية بيروت ١٩٧٧م.
٥. تاريخ الادب العربي . احمد حسن الزيات . طبعة نهضة مصر . القاهرة . ١٩٥٧.
٦. تاريخ الادب العربي . حنا الفاخوري . المطبعة البوليسية . القاهرة . د.ت.
٧. تاريخ الادب العربي . عمر فروخ . ط١ دار العلم للملايين . بيروت . ١٩٩٢م
٨. دائرة المعارف الاسلامية نقلها الى العربية محمد ثابت الفندي وآخرون مصر ، ١٩٣٣م.
٩. الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، ابي الحسن علي بن بسام الشنتريني ، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس ، ١٩٧٨م.
١٠. شعر الطبيعة في الادب العربي د.سيد نوفل ، القاهرة ،١٩٤٥م.
١١. ظهر الاسلام د.احمد امين ، ط٥ دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٦٩م.
١٢. فجر الأندلس ،د. حسن مؤنس ، ط١ الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة ، ١٩٥٩م.
١٣. الفن ومذاهبه في الشعر العربي د. شوقي ضيف ، ط٦ دار المعارف ، ١٩٦٥م.
١٤. في الادب الاندلسي د. جودة الركابي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٨٠م.
١٥. محمد بن عمار الاندلسي ، د.صلاح خالص ، مطبعة الهدى ، بغداد ١٩٥٧م.
١٦. المنجد في اللغة ، ط١ ، دار الفقه للطباعة والنشر ، ايران ، ٢٠٠١م.
١٧. نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، احمد بن محمد المقري التلمساني ، دار صادر ، بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.
١٨. وفيات الاعيان ، ابن خلكان ، دار الثقافة ن طبعة بيروت ، ١٩٧٠.